ملاحق

obeikandl.com

obeikandl.com

ملحق رقم (١)

أقبـاط مصر ليسـوا أقليـة . . .
وإنما جزء من الكتلة الإنسانية الحضارية

بقلم : محمد حسنين هيكل

عزيزى الأستاذ جمال بدوى ..

إنك تفضلت وسألتنى عندما التقينا آخر مرة عما إذا كنت سوف اشترك فى مؤتمر عن حقوق الأقليات فى الوطن العربى والشرق الأوسط يقام فى القاهرة أواسط الشهر القادم ؟ .. وأجبتك بالنفى .. وأبديت استغرابك لأنك رأيت اسمى مطبوعًا ضمن قائمة المشاركين فى هذا المؤتمر . وحين قلت لك : إننى مثلك استغربتُ قراءة اسمى ضمن قائمة المشاركين مرفقة ببطاقة دعوة ، كان تعليقك أن حالى أفضلُ من حالك ، فأنا على الأقل تلقيت قائمة وتقليت بطاقة ، وأما أنت فقد اكتشفت أنك مشارك دون أن يبعث إليك أحد بقائمة أو ببطاقة !

ولقد اتفقنا بسرعة على أن زحام المؤتمرات فى القاهرة ، واللقاءات والندوات ظاهرة صحية ، لكنها قد تكون أصح إذا ماجرى الالتزام بأصول وقواعد جديرة بأن تراعى ، وبينها المعرفة المسبقة بموضوع البحث – ما هو ؟ – وبالداعين إليه – من هم ؟ – وبالمستفيد النهائى من الجهد المبذول – ماذا يطلب ؟

إن حلقات الفكر المنظم ليست فيض فيلسوف أو تجليات صوفى ، وإنما هى جهد مركز مكثف لاستخلاص وانتزاع آراء واجتهادات تدخل أغلب الأحيان فى تشكيل مواقف وسياسات ، ومن هنا فإن الشفافية إلى أقصى درجة تصبح من حق الناس إذا كان مطلوبا منهم أن يقولوا وأن يشرحوا .

وتذكر أننا حين عرضنا بسرعة لمؤتمر حقوق الأقليات فى الوطن العربى والشرق الأوسط ، رابنا أمره ثم رجَّحنا حسن نية القائمين عليه ، لكننا اتفقنا أيضا على أن حسن النية قد يشفع للخطأ ، ولكن يبقى التصحيح واجبًا ؟

ولقد استوقفك واستوقفنى أحد البنود التى وردت فى جدول أعمال المؤتمر عن حقوق الأقليات فى الوطن العربى والشرق الأوسط وكان ترتيبه كما يلى :

١ - أقليات العراق - « الأكراد مثلا » .

٢ - أقليات المغرب العربى - « البربر مثلا » .

٣ - أقليات عرب إسرائيل - « الدروز مثلا » .

٤ - أقليات لبنان - « الأرمن مثلا » .

٥ - أقليات السودان - « المسيحيون فى الجنوب مثلا » .

ثم جاء البند السادس فى هذا الجدول . فإذا هو :

٦ - أقباط مصر .

كان ذلك ما استوقفك واستوقفنى ؛ لأن أقباط مصر ليسوا أقلية ضمن أقليات العالم العربى والشرق الأوسط .. لا بالمعنى العرقى مثل الأكراد فى العراق . والبربر فى المغرب العربى . ولا بالمعنى الطائفى مثل الدورز أو الأرمن فى إسرائيل أو لبنان ، ولا بالمعنى الدينى وحده . وذلك هو سر الخصوصية المصرية طوال التجربة الإنسانية فى هذا الوطن ، كما أنه سر وحدة وتماسك الكتلة الحضارية للشعب المصرى ولعل تماسك هذه الكتلة الحضارية هو القصد المقصود فى التعبير المأثور عن اللورد كرومر المعتمد البريطانى فى مطالع هذا القرن ، وهو صاحب سياسة « فرق تسد » الذى لم يتمالك نفسه عند انتهاء خدمته وسفره معزولا – من أن يقول : « لم أجد فارقًا بين مسلم وقبطى فى مصر غير أن أحدهما يصلى فى مسجد والثانى يصلى فى كنيسة » .

ثم يجىء بعضنا عند مداخل القرن الحادى والعشرين ليرسم خطًا فاصلاً نتراجع وراءه مائة عام .. مئات الأعوام !

... ...

... ...

□□□

دعنى أيها الصديق الكريم . أطرح عليك هواجسى :

أولا – لابد أن أعترف لك – وهذه نقطة أولية – أن بى قلقا شديدا من كثرة المبالغ المرصودة لأغراض البحوث الاجتماعية والسياسية فى مصر ، فهذه المبالغ نزيد سنويا على مائة مليون دولار . معظمها تقدمه هيئات أجنبية . والمشكلة أننا لانعرف يقينا من الممولون ، فنحن نقرأ

أسماء هيئات دولية ، لكن الأسماء كما علمتنا التجارب لاتدل بالضرورة على المسميات . ثم إننا لا نعرف أين تبدأ المقاصد ، ولا نعرف أين تنتهى النتائج ، ومانراه هو مجموعات فرق بحث تمسح البلاد بالطول والعرض والعمق ، ثم تطالعنا أوراق لاتبدو مساوية للجهد ، ثم تنزل أستار النسيان تدريجا على كل شيء ، البحث والباحثين والأوراق المكتوبة ، كأنه زر نور لمسه أصبع فاتقد ثم لمسه ثانية فانطفأ .

ولكى أكون منصفا فلابد أن أضيف أن هناك بحوثا تبدو أمامنا واضحة فى مبتدئها وخبرها . فى ظاهرها وباطنها . ومن ذلك مثلاً تلك الدراسة الممتازة عن استشراف المستقبل العربى والتى قام عليها مركز دراسات الوحدة العربية وغيرها وغيرها ، لكن مثل هذه الدراسات الواضحة ظاهرًا وباطنًا مجرد جزء محدود ، فى حين أن غير المحدود هو الباقى .

وأثق أنه لا أنت ، ولا أنا ، ضد الحقيقة نقصاها وندرسها ، لكنى لا أظنك ولا أظننى من أنصار العرى الكامل لمجتمعنا أمام عيون لانعرف نحن يقينا ما الذى تبحث عنه وتفتش عليه .

ثانيا – ونعرف معًا أننا فى عصر اشتهر بوصف عصر المعلومات ، وهو وصف صحيح . والصحيح أيضا أن وسيلة الفعل السائدة فى أى عصر تؤثر على كل ما فيه – على الزراعة والصناعة والمواصلات والحرب إلى آخره – كذلك فعل مثلا عصر البخار وعصر الكهرباء وعصر الإلكترونيات ، وليس صعبًا أن نتصور تأثير عصر المعلومات فى الأمن – من الهجوم إلى الدفاع . وليس خافيا أن المعلومات أصبحت أهم أسلحة الاختراق . ومع التسليم بأننا فى عصر تستطيع وسائله أن

ترى كل شيء .. فلست واثقا أنه من حقنا أن نترك من يشاء يفتح العقول والقلوب ويطل على ما فيها ، ونحن نعلم بالطبع أن من يشاء يستطيع بوسائله أن يستكشف السطح وأن يلتقط مايريد من صور لتضاريسه ومشاهد الحركة على هذه التضاريس – لكن استكشاف العقول والقلوب لايمكن أن يتم إلا برضانا – أى إذا أتحنا للآخرين فرصة الغوص فى دخائلنا ومكنونات صدورنا .

ومن حقنا نحن أن نعرف كل شيء وفى الوقت نفسه فمن المؤكد أننا لا نستطيع – ولا يجب – أن نحجب عن الآخرين كل شيء ولكن القضية أن المعرفة المتاحة لابد أن يداخلها عنصر من الحساب ، وإلا فإن الفارق بين المعرفة والامتباحة يتلاشى ويضيع ، وفى ذلك خطر وربما سمحت لنفسى أن أقول لك : إننى اطلعت على دراسة قام بها مركز أبحاث إسرائيلى عن حزام الفقر المحيط بالقاهرة ، وكان التركيز على معسكرات قوات الأمن المركزى وغيرها من القوات النظامية الواقعة داخل هذا الحزام !

ثالثا – وقد أؤكد لك مرة أخرى أننى لست من أنصار نظرية المؤامرة فى تفسير الحوادث وتأويل شواهدها ، وقد أكون من مدرسة ترى أن « التاريخ ليس مؤامرة ، ولكن المؤامرة قد توجد فى التاريخ » ، بمعنى أن حركة التاريخ تصنعها قوى اقتصادية واجتماعية وعلمية وفكرية يؤدى تلاقيها وتصادمها وتفاعلها لطبيعة دور المحرك والدافع والموجه لكننا نعرف من استقراء الماضى أن هناك مقاصد وخططا تتمنى أحيانا لو استطاعت أن تعترض الحركة لطبيعية حتى ضد قوانينها ، وهذا مفهوم ، ولعله مشروع ، فى صراعات الحياة .

وإذا تذكرنا ، ويجب أن نتذكر دواما ، أن الحاضر هو نقطة يلتقى فيها الماضى بالمستقبل . إذن لأمكننا أن نتصور أن هذا البلد مستهدف لموقعه وموضعه - على حد تعبير جمال حمدان .

ونحن نرى كيف تجرى الحرب على هذا البلد ، اقتصادية وسياسية ونفسية ، وعسكرية عند اللزوم . كذلك نرى عملية حصره وحصاره بقصد تصفية دوره وحجب تأثره فى واحدة من أهم مناطق العالم . وإذا كان ذلك صحيحا ، وأحسب أنه صحيح . إذن فإن قدرًا من الحيطة واليقظة لازم وضرورى .

رابعا – ولا أعتقد أنك تختلف معى ، أو أننى اختلف معك ، على حقيقة أن سلامة الكتلة الوطنية لهذا البلد هى أولى ضمانات أمنه وقوته .

بمعنى أنه قد يتأثر اقتصادنا فنعوّض . وقد تنحرف توجهاتنا السياسية فنصحح . وقد تختلط علينا الأفكار فنعود للصواب فى يوم من الأيام . لكنه إذا تأثرت الكتلة الوطنية لهذا البلد بخط أو حاجز أو شرخ – لاسمح الله – فإن العواقب فوق الطاقة .

وكان هذا الوطن قادرا باستمرار على سبك كتلته الوطنية ، وبها واجه تاريخه وكل مافعله به ذلك التاريخ ، وأنت عالم به ذاكر له باستمرار ، وأمامك وأمامى أسفار دوّنها واحد بعد واحد من مؤرخى مصر الكبار سجلوا خصوصية هذا الشعب الذى كان فريدًا فى قبوله لمطلقين دينيين فى نفس الوقت بفضل عملية السبك المتقنة التى جادت بها عبقرية المكان – والتعبير أيضا لجمال حمدان – أمامك كتابات ابن الحكم والمقريزى وابن إياس لترى كيف استطاع شيوخ الأزهر وبطاركة

الكرازة المرقسية أن ينجزوا مهمتهم النبيلة فى الحفاظ على الكتلة الوطنية للشعب المصرى خلال قرون مزدحمة بالطامعين والغزاة ، وبرغم هؤلاء الطامعين والغزاة جميعا فإن المسيرة النبيلة قطعت المسافة من « عهد الذمة » إلى عهد المواطنة بنجاح عزّ مثيله فى أوطان أخرى .

وتذكر وأذكر دور أحمد عرابى فى مواجهة الغزو البريطانى ووراءه شيوخ الأزهر وبطاركة الكنيسة القبطية ، ثم دور سعد زغلول فى تمتين كتلة تلك السبيكة الوطنية الصلبة فى مناخ الثورة السياسية ١٩١٩ ودور جمال عبد الناصر فى المحافظة عليها فى مناخ الثورة الاجتماعية ١٩٥٢ .

مثل قوة المواقف تسندها الجيوش والثورات - كانت قوة الكلمات حين تختزل فى حروفها خلاصة حياة الأمم وفهمها لعبر الزمان .

وتذكر وأذكر كلمة مكرم عبيد « إننى مسلم وطنًا قبطى دينًا » حين سرت فى الداخل بعض النعرات هنا وهناك !

وتذكر وأذكر كلمة القس سرجيوس « ليمت كل قبطى فى هذا البلد ولكن لتحيا مصر » حين شاء الاستعمار البريطانى أن يستبقى فى يده ادعاء المسئولية عن حماية الأقليات !

خامسا - وتدرك وأدرك أنه فى عصر تجرى فيه ممارسة السياسة بالانطباع بديلا عن السياسة بالاقتناع ، كما يحدث فى علم التسويق ، بمعنى أنه يجرى الترويج لسلعة قد لا يحتاج إليها الناس ، ولكن الإلحاح عليها يتكرر ويتكرر تطبيقا لقاعدة فى فنون الإعلان تقول : إن « نقطة الماء إذا نزلت » وباستمرار ، على نفس البقعة من كتلة الحجر فإنها

قادرة فى يوم من الأيام أن تفلقها » . وهكذا فإنه بالإلحاح والتكرار تصبح السلعة الكمالية ضرورة تكاد تستحيل الحياة بغيرها .

ومثل هذا يصنعه عصر الاتصالات فى الحياة السياسية والاجتماعية للأمم والشعوب .

خط وهمى فى البداية ثم يزداد الإلحاح ويسقط الخط الوهمى على الأرض ويشتد الضغط وإذا الخط الذى وقع على الأرض يتحول إلى رسم ، ثم إذا الرسم يتحول إلى شرخ يظهر فى البداية مثل شعرة ، ثم يجرى تعميقه إلى فلق . وإلى كسر .

واليوم نبدأ بادعاء ، ويتحول الادعاء إلى مقولة ، وتتحول المقولة إلى قضية ، وتتحول القضية إلى مشكلة ، وتتحول المشكلة إلى نزاع .

ونكتشف أنه حتى الأوهام يمكن لها أن تكتسب قدرة التجسد ، كما أن الظلال فى بعض الأحيان تتجسم . والخريطة السياسية للعالم الثالث أمامك وأمامى تغنينا عن التفاصيل لكيلا يكون من النماذج ما يوحى تعسفا بالتشابه .

سادسا – وقد تسترجع واسترجع ما سمعناه فى مرحلة علت فيها الأصوات بحديث النظام العالمى الجديد ، الذى قيل بقدرته على أن يفرض على الآخرين أحكامه ، وأن يحدد لنفسه وينتزع ويمارس اختصاصاته ، وبينها اختصاص يبيح حق التدخل لحماية الأقليات والتدخل يبدأ من إملاء الشروط السياسية إلى استخدام القوة المسلحة .

ولقد وردت نصوص من هذا الاختصاص فى بيانات صادرة عن

الأمم المتحدة ، ولم تكن هذه النصوص صادرة عن خبراء المنظمة الدولية المكلفة بحماية القانون الدولى فى صورته الأكمل ، وإنما كانت من صياغة خبراء واحدة أو اثنتين من القوى الكبرى التى لاتبحث عن الأكمل فى هذا العالم ولا تأبه له ، وإنما تبحث وتأبه لمصالحها ومطالبها الاستراتيجية ، وتنقب عن ثقب إبرة تستطيع أن تنفذ منه إلى ماترغب فيه وتقصده .

هذه هواجسى أطرحها عليك .

□□□

بعد تردد أريد أن أضيف نقطة أخرى فأقول لك : إنه أدهشنى أن يشار إلى افتتاحية لهذا المؤتمر عن حقوق الأقليات - باسم الدكتور بطرس غالى الأمين العام للأمم المتحدة .

لعلى لا أخفى عليك أننى شخصيا سعدت لانتخاب بطرس غالى أمينًا عاما للأمم المتحدة لعدة أسباب ، أولها وأهمها أنه مصرى قبطى . أقر أمامك أننى فى البداية لم أكن متحمسا لترشيحه ، وكان ميلى أقرب إلى واحد من منافسيه فى ذلك الوقت وهو الأمير صدر الدين أغاخان ، عن اعتقاد أيامها بأنه الأكثر شبابا والأوفر خبرة بأعمال الأمم المتحدة ، ثم عن تصور بأن المنظمة الدولية فى ظروف دولية متغيرة تحتاج إلى شخصية قادرة على الاستقلال قدر ما هو ممكن . شخصية يحتاج إليها المنصب ولا تحتاج هى إليه .

وربما لا أتجاوز إذا قلت لك إننى صارحت الدكتور بطرس غالى برأيى مبكرًا جدًا ، وكان قوله لى - ونحن زملاء لثمانية عشر عاما فى

الأهرام - أنه لم يكن يفكر فى الترشيح ولا خطر على باله ، ولكن حدث أنه كان يحضر اجتماعا وزاريا أفريقيا فى زائير خصص لاختيار خمسة مرشحين للمنصب عن أفريقيا حتى تعرض أسماؤهم على مجلس الأمن فيختار منهم واحدا يقدم اسمه للجمعية العامة للأمم المتحدة . وقد تم اختيار الأسماء الخمسة فعلا ، ثم فوجىء بطرس غالى - طبق روايته - بأن الرئيس موبوتو رئيس زائير يشير إليه من طرف المائدة يستدعيه ، فلما وصل إليه همس موبوتو فى أذنه « بطرس .. ألا تفكر فى إضافة اسمك للقائمة ؟ » .

ولم يملك بطرس غالى غير أن يطلب فرصة الرجوع إلى القاهرة يستأذن فيما عرض عليه .

وأتذكر أننى بعد أن سمعت تلك التفاصيل من بطرس غالى قلت له : « ألا ينبغى لك أن تتشاور مع صدر الدين أغا خان ؟ » . وقال بطرس غالى : « فعلت .. اتصلت به تليفونيا سألته هل أنت مرشح ؟ ورد على بأنه لن يرشح نفسه ، وإنما هو على استعداد لقبول الترشيح فى حالة أن تطلبه الدول الأعضاء فى مجلس الأمن » .

وقتها . وقد وجدت أن صدر الدين أغا خان لن يحصل على ما يريد إذا كان ينتظر وصوله إليه على طبق فضة ، انتقلت بحماستى إلى ترشيح بطرس غالى ، وبعض هذه الحماسة كما قلت كان راجعا إلى أنه مصرى قبطى .

وبينى وبينك أقول : إن بعض الدوافع إلى تلك الحماسة ظن ساورنى بأن الرجل ، فى إطار مجمل السياسات التى اعتمدت فى مصر منذ

زيارة القدس سنة ١٩٧٧ – كان يستحق أن يكون وزيرا للخارجية المصرية ، وكان شعورى أن الذى حجب عنه هذه الفرصة مجموعة حساسيات كنت أستطيع تفهم بواعثها . وإن أدركت فى نفس الوقت قسوتها على الرجل . وحين واتته الظروف وفاز بمنصب الأمين العام للأمم المتحدة فقد أحسست أن فى ذلك تعويضا عادلا للإنسان والمواطن فيه ، بصرف النظر عن خلاف مع توجهاته السياسية والفكرية ، وهو خلاف لم يكن سرًا عليه طوال ثمانية عشر عامًا طالت إليها زمالتنا فى الأهرام .

وأشعر من بعيد أن بطرس غالى يتصور أن فى مصر معارضة لسياسته ، أو ما يقال عن سياسته فى البوسنة وفى غيرها ، وأن الداعى الرئيسى لهذه المعارضة أنه قبطى ، بل قد قال بنفسه شيئا من ذلك وكرره فى حديث تليفزيونى مع صديقنا اللامع مفيد فوزى ، وكان بطرس غالى فى ذلك على خطأ ، فقبطيته موضع فخار لكل وطنى مصرى . ثم إن نقد سياسته فى البوسنة وغيرها لم يقتصر على مصر . بل لعل نقد هذه السياسة كان أعلى وأقسى فى غير مصر ، وبالتحديد فى كثير من بلدان أوروبا ، وحتى أمريكا ذاتها . ولعلى أضيف أنه فى تقديرى مظلوم فيما وجِّه إليه . ينسى الناس أن الأمين العام للأمم المتحدة له سيد مطاع هو مجلس الأمن . كما أن مجلس الأمن له بدوره قائد لا يُعصى حتى هذه اللحظة على الأقل هو الولايات المتحدة الأمريكية .

يضاف إلى ذلك أن العصر لم يعد هو ذلك العصر الذى يقف فيه رجل مثل داج همرشولد الأمين العام للأمم المتحدة وقت أزمة السويس ١٩٥٦ يقدم استقالته قائلا لمجلس الأمن وجها لوجه « إنه لا يستطيع

أن يقبل على ضميره أن يكون أمينا عامًا للأمم المتحدة فى وقت تخالف فيه اثنتان من الدول دائمة العضوية فى مجلس الأمن « نصوص وروح ميثاق الأمم المتحدة » .

ولست أعرف ما الذى دعا بطرس غالى إلى أن يسمح لاسمه بالتداول فى معرض مؤتمر لحقوق الأقليات فى الوطن العربى والشرق الأوسط ، ولعل دافعه كان أن هذا المؤتمر متصل بإعلان من الأمم المتحدة عن حقوق الأقليات فى هذه المنطقة .

لكن السؤال : هل كان بطرس غالى يعرف أن أقباط مصر جرى تصنيفهم أقلية ضمن هذه الأقليات ؟

أكاد أقطع بأنه لم يعرف شيئًا عن التفاصيل ، وإنما اقتصرت معرفته على الخطوط العامة وحدها .

ثم أقول لك فى النهاية : إننى لست ضد انعقاد مؤتمر لحقوق الأقليات فى العالم العربى والشرق الأوسط ، ولكن أقباط مصر خارج هذا الإطار .

أقباط مصر ومسلموها شأنهم شأن كل البشر فى هذا العالم الثالث - مثقفون مرهقون بمشاكل لا أوّل لها ولا آخر . وهم - شأنهم شأن غيرهم من البشر - يبحثون عن حلول لهذه المشاكل ، لكن بحثهم فى شئونهم وشئون مصر يجىء فى إطار حق المواطنة ، وليس فى إطار حماية الأقلية .

وإلا كنّا كمن يلعب الكرة بقنبلة !

ملحق رقم (٢)

المسيحية والسياسة

للبابا شنودة الثالث

obeikandl.com

المسيحية والسياسة

للكتابة مشاعر وده الثالث

في هذا الوقت الذي تبذل فيه كل الجهود، لتقريب الهوة بين الشعوب، وترسيخ السلام، وتصفية جروح الوحدة الداخلية، نتيجة ما حدث في المنيا وأبي قرقاص، طلعت علينا الأهرام بمقال عن (المسيحية السياسية)، عرضت فيه لأفكار شاب بروتستانتي تأثر على كل الأوضاع، يلقي الاتهامات بلا عرض ولا دليل، ويتعرض لكل القيادات بالنقد، ليس في الكنيسة القبطية وحدها، بل حتى في كنيسته الإنجيلية، بل يتعرض أيضاً للقيادات الإسلامية والوعاظ والشيوخ المسلمين، ولم أسماه « الصناع بيد المسيح والمطربشين ». ويحلل شخصيات القادة الدينيين، ويدخل في نواياهم ومقاصدهم، ويتخيل لهم أهدافاً ووسائل. ثم يعزو كل عمل ديني أو روحي إلى هدف سياسي..

وكنت أظنه كباحث في علم الاجتماع، أو في علم الأنثروبولوجيا، يلماً بمشكلات العلماء في البحث الميداني، ولا يعتمد على مجرد القراءات في الكتب. فيقابل من هنا وهناك شخصياتهم، ويناقشهم ويتعرف على أفكارهم واتجاهاتهم، حتى يكون حكمه قريباً من الحقيقة بقدر الإمكان. ولكنه لم يفعل، إنما قدم استنتاجات شخصية كواقع أو حقيقة... ! ولم يتورع عن اتهام أي أحد. وهذا نجد نشره في كتابه، وما نشر له في جريدة الأهرام إنما هو ما يأتي في التاريخ والواقع...

وقد ذكر الدكتور فهمي هويدي ما خلاصة ما نشره عن كتاب هذا المؤلف « أخيراً فإنه توقعت صفحات الكتاب الأخيرة له دلالته، وسط الجدل القائم حول الشأن المسيحي المصري، فعصرها وإن القائمين عليه يلاحظ أنه كتب بقدر من التحفظ والحذر »

هنا أراجب أن أذكر بعض تعليقات حول ما نشر

تعريفات:

بادئ ذي بدء، أجب أن أقول إنه ما لم نكتب، يعرف أنه نفهم المعنى العميق لكثير من الألفاظ المتداولة، وأبحث هذه التعريفات. فنجد ما هو المقصود بكلمة السياسة، وما معنى المسيحية السياسية؟ وما الفرق بين السياسة والدينية؟ وأيضاً ما معنى التطرف؟ وهل هو التطرف الفكري، أم التطرف المتمثل بالعنف أو بالاستعداد أو بالجريمة؟ ثم أيضاً ما معنى العنف؟ وما حدوده؟ ثم ما معنى المسيحية في المقال: هل هي الأرثوذكسية أم المسيحية في كل الكنائس؟

تقول مقدمة المقال « المسيحية السياسية كما يعرضها الباحث هي التي تتجاوز الروحي إلى المادي، وتتجاوز العبادة إلى الاجتماعي والاقتصادي والسياسي ». فيه قال إنه هذا التعريف مقبول؟ ما هو التعريف الدقيق لعبارة روحي وعبارة مادي؟ مثال التمثيل: هل الشكل الروحي لديهم جوهرياً، ولديكسر مريانا، ولديتقد شخصاً في ضيقة مالية؟ وهل تدخل هذه الأمور في العمل الروحي أم العمل الاجتماعي أم العمل الاقتصادي؟ أم نقول إنه العمل الروحي يشمل هذا كله؟ فالروحانية تدعونا إلى الشفقة والإحسان، والشفقة تعودنا أنه نسعف المحتاجين في أعوازهم المادية، ونساعدهم في حل مشاكلهم الاجتماعية وأزماتهم الاقتصادية...

فهل اذا ساهمت الكنيسة في هذه المجالات تكون قد خرجت عن عملها الروحي البحت؟ الى عمل مادي أو اجتماعي ؟! وهل تستطيع الكنيسة أن تقف قليلا عن مساعدة المحتاجين، بحجة أنه عملها هو عمل روحي بحت؟ وهل يُقبل هذا منها ؟! وإنه السيد المسيح نفسه كان يعلّم الشعب ويكرز بالملكوت ، وفي نفس الوقت كان يطعم الجياع ويشفي المرضى ويعصب المنكسري القلوب.

وهل لم اقتصرت الكنيسة على العمل العبادي فقط، هل تتوقف هذا مع المركز الاجتماعي الكبير ، أم المؤسسة الاجتماعية الضخمة ، التي تقوم/بعمل نبيل تحت رئاسة والد الباحث المحترم المرحوم صموئيل حبيب رئيس الطائفة الانجيلية الذي تربطنا به أواصر من المودة والتقدير؟

وهذا يجعلنا نبحث - في عجالة معاً - ما هو عمل الكنيسة ؟ وإلى أي حد توصف بالسياسة ؟

الكنيسة والسياسة :

يقول في المقال « والكنيسة في هذا وذاك ، لا تمارس سلطة ولا وظيفة ، ولا تطمح في ، ولكنها تؤدي دوراً ، فيصبح لها رأي وموقف ». والسؤال الذي هو : هل تريد كنيسة بلا رأي وبلا موقف ؟ وإنه عبارة كهذه ، هل تكون نافعة للمجتمع الذي تعيش فيه ؟! وهل تكون أيضاً نافعة للدولة ؟! . وهنا يتعرض الباحث أو مؤلف الكتاب إلى العلاقة بين الكنيسة والدولة ، ويقسمها إلى مراحل زمنية . ويبدو القاصل على الكنيسة واضحاً ..

إنه تعاونت الكنيسة مع الدولة ، بصفتها بالتدخل في السياسة ! وإنه وقفت معاصمة مقتصرة على العمل الروحي/أو بصفتها بالانعزال وبالرفض وبالعنف السلبي ، وإخراج الدولة بانتقادها عنيفاً !!

ماذا تفعل اذن ؟ هل تتدخل الكنيسة في المجتمع الذي تعيش فيه ، وتفرح لافراحه ، وتتألم لاتراحه ، مجدة بقول الكتاب « فرحاً مع الفرحين ، وبكاء مع الباكين » .. وإنه فعلت هذا، هل تكون قد خرجت عن العمل الروحي العبادي إلى العمل الاجتماعي أو السياسي حسب تعبير المؤلف !! وإنه لم تفعل ، هل تصفها بالانعزال عن المجتمع ، وبرفضه المجتمع !! إنه أمر محير.

في قمة سنة ١٩١٩ يذكر التاريخ بكل إعزاز كيف أنه الشوعس كانوا يطلبونه في الازهر عند الارتقادل الانجليزي. وكيف تعاونت الكنيسة والازهر في هذا المجال .. فهل كان ذلك خروجاً عن الخط الروحي العبادي ، وتدخلاً في السياسة تندم عليه الكنيسة !!

أم كان ذلك عملاً وطنياً . وهنا نسأل عن الخط الفاصل بين الوطنية والسياسة ؟ وما حدود اشتغال الكنيسة فيهما ؟ وهل يجب أن تكون الكنيسة بلا رأي بلا موقف ؟! وبصراحة حتى أنه نسأل ، ما هي المواقف التي اتخذتها الكنيسة وتعتبر تدخلاً في السياسة ؟

إنه الباحث يرى أنه مجرد ابداء الرأي سياسة !! وأنه/لدينا الرأي إلى اذا سألنا . فهل اذا سألنا نصت ؟! الله يفهم صمتنا عندذاك انا تحت ضغوط تفقدنا حريتنا/شخصية..

وإنه صمتنا كاملاً ، الله نسمع أصواتاً لدائمة من كل ناحية تقول « أين دور الكنيسة في التوعية ؟! لماذا تقف هكذا سلبية ؟!» . هل يجب بأنه المطلوب أنه تكون الكنيسة بلا رأي بلا موقف ؟ إننا لا نعمل بالسياسة ، وليس لدينا وقت لها ، ولا ندري عنه إختصاصنا . ولكنه هناك مواقف إنه صمتنا فيها ، نقدم على صمتنا ، ونوصف بالسلبية

هنا يتعرض المؤلف ، وكاتب المقال الى موضوع ذكر الدستاذ هديك انه « له أهميته » وهو مدارس الأحد ، وجهد مدارس الأحد ، والدروس التي « تخرجت من هناك مدارس الأحد» وسجبها على تأوردته في هذا المجال...

مدارس الأحد

ما هي مدارس الأحد ؟ وما غايتها ؟ ومتى نشأت ؟ وهل قامت كرد فعل لقيام الأحزاب المسيحية ؟ وهل كان لها نفس دورهم ؟ هذه أسئلة تتردد لنا الحين . ونحاول أن نجيب :

مدارس الأحد هي وسيلة لتعليم الدين في كل كنيسة ، وذلك هدفها الأساسي التعليم الديني ، وتدريب الأطفال على حضور الكنيسة ، وعلى حياة الفضيلة ومحبة الله والناس . إنها جزء من العمل الروحي العبادي . المعلمة للكبار . أما الصغار فلهم مدارس الأحد . وحالياً تسميها مدارس التربية الكنسية ، وتنعقد يوم الجمعة أيضاً .

لم يحدث في يوم من الأيام أن تدخلت مدارس الأحد في السياسة بأي أسلوب ، وليس لها دور سياسي على الإطلاق . وكل همها منصب عليها ، لدرجة أنه ولا دقيقة .

والكتاب البروتستانتي عامة الكتابيين ، يعرف تماماً أنه توجد مدارس أحد في كنيسته الإنجيلية وفي كل الكنائس البروتستانتية ، بل في كل كنائس العالم بعد استثناء ، فيما مضى في الشرق الأوسط ، وفي أوربا وأمريكا . لماذا التركيز إذن عليها ؟!

أما جماعة الأمة القبطية التي خلقت البابا يوساب الثاني في بداية الخمسينات ، فهي ليست من مدارس الأحد ، ولم تمت إليها بأية صلة . وما قامت به هو مجرد عمل فردي ، ولم يستمر سوى يوم ، وكان منتقداً من الجميع .

ومدارس الأحد بدأت في مصر مع بداية القرن العشرين ، وكانت لها جذور في نظام الكتائب التي كانت ملحقة بالكنائس منذ قرون طويلة ، يقوم فيها (العريف) بتدريس الأطفال الدين والقداس والألحان .

هل إذن ليست رد فعل لقيام الأحزاب المسيحية ، لأنها كانت موجودة قبل ذلك بعشرات السنين . وكان علينا أن نستمر في عملنا لتعليم الأطفال سواء قامت جماعات إسلامية أو لم تقم . إنها لا تتدخل في أعمال هذه الأحزاب .

والأحزاب الإسلامية لم تنشأ في بداية السبعينات ، كما قال مؤلف الكتابين لكي يربطها بالبابا شنوده . إنما نشأت في أواخر الخمسينات ، بهدف التعليم الديني للطلبة الجامعات . وكان أميناها العام هو الأستاذ الدكتور مشفيق لبيب الملاخ . وذلك قبل عهد البابا كيرلس بسنوات ... والطلبة فيها يجتمعون لسماع الوعظ ، في أقرب كنيسة ، ثم ينصرف كل منهم إلى حاله . وبهذا لم يكونوا تشكيلاً معيناً . والطلبة كل كلية لم يعرفوا بعضهم بعضاً في الكليات الأخرى .

مدارس الأحد هي جزء من النظام الكنسي العام ، خاضعة للقيادة الكنسية ، وليست جماعة قائمة بذاتها . يحضرها الطلاب والمدرسون كما يحضرون الصلاة في الكنيسة .

وتتلقى المدرسون الدينية في الكتاب المقدس واللاهوت والعقيدة ، وتتعلمون الترتيل ، ثم يمضي كل واحد لشأنه . ولم يرتبط العاملون فيها إلا بالتعليم الديني وحده . فقد جعلها قداسة البابا كيرلس السادس جزءاً من أستقلية التعليم .

لكل هذا ، كانت لكل مدرس في مدارس الأحد شخصيته ، ومنهجه الفكري ، وإنتاجه الخاص في المجتمع . إنهم داخل الكنيسة جماعة تعلم الدين . أما خارجها فهم مجرد أفراد ، لكل منهم أسلوبه الذي يتفق مع تكوينه النفسي والفكري ، ولطريقته الاجتماعية واتجاهاته في الحياة ...

التطرف والعنف :

إنه سؤال كثيراً ما يسأله البعض : هل يوجد أيضاً تطرف في الجانب القبطي؟ وربما نسأل : أما تطرف هو المقصود ؟ هل هو تطرف في الفكر أم تطرف عند التعبير ؟ من جهة الفكر ، في وسط مدبيه الناس ، نحن لا نفضل أنه يكون فكر الكل سليماً ، فقد تجيء أفكار البعض ، وتكون عمل الكنيسة هو التعليم السليم ، وهداية من تخطئ أفكاره .

أما التطرف المزعوج بالعنف والبذاءة ، فهو غير موجود عند الأقباط .

... وقد يوجد أحدهم تطرف قبطي يدعو إلى أشكال هذه الأمور ، ونحن جميعاً ندعو الناس الى المحبة والسلام ، وإلى الوداعة والتواضع والوداعة .

وأتذكر أنني ألقيت محاضرة عند العنف في أواخر سنة ١٩٧٧

ولهجت هذه المحاضرة في كتاب في اسمه (الحرب الروحية) . قلت فيها إن " المسيحية لها تواضعه على العنف في كل صوره ، لأنه سلوك غير روحي وتتركز فيه بصورة من الأحوال . فهو خطيئة مركبة ومتغيرة ، وخطيئة عدوانية . وهو دليل على قسوة القلب ، وعلى البغضة وعدم ضبط النفس . هو عند الوداعة وعند المحبة .

واستثنيت من هذا مواقف تحتاج الى عنف وتلزم به الدولة صيانة للمجتمع والنظام العام " مثل معاقبة الخطاة المتهربين أو المستبدين ، أو الذين يهددون المجتمع بجرائم يخططها أو تحطم تراثه وقيمه " " فهناك جرائم اذا لم تؤخذ بعنف ، قد يستفحل مرتكبوها فيكررونها . اما اذا عولجت بحزم وحسم ، فإن المجتمع يستقيم ويستقيم .

وواضح أن المعاقبة على الجرائم ، وحماية المجتمع من الجريمة هو عمل الدولة

وقد كتب الباحث - سامحه الله - حاول أن يستنتج من هذا الموافقة على استخدام العنف في عبارة اقتطعها من هنا وهناك (الفهم القبطي العام) . وهذا عالم نذكره مطلقاً ولا نوافقه مع سائر المقال ، وفي قول السيد المسيح " طوبى لصانعي السلام ، لأنهم أبناء الله يدعون " .

وأنتم الكنيسة بالعنف الذي قلنا عنه انه " مثل الكآبة الحمراء ، والبكاء الدائم " والتوتر عند الأقباط ، والصوت العربي ، والتشاجر " . وواضح أن الكنيسة لم تسلك في أشكال هذه التصرفات التي تحدث أحياناً من المحيط العائلي عند البعض .

ننتقل الى نقطة أخرى وهي الهوية والشعبية

الهوية والشعبية :

حسب الباحث أنه كل عمل سلبي تقوم به الكنيسة ، وتخدم به أبناءها التي هي مسئولة عن روحياتهم أمام الله ، انما هو كسب شعبية ، وتأكيد للهوية " . وبذلك تخرج عن المفهوم الروحي للرعاية ، ومسئولية الدرجة الرعوية . واعتبر أنه الكنيسة تجذب الناس اليها ، بدلاً من المفهوم الروحي في جذبهم الى الله . وتحدث في موضوع " شعبية الكنيسة " بدلاً من العمل الروحي للكنيسة . إنه تفكير غريب ، لم يستطع أن يصعد إلى المستوى الروحي ، فنزح به الى السياسة .

أما تأكيد الهوية ، فنحن لسنا في حاجة اليه مطلقاً . معروف عند الكل أننا أقباط . ولسنا في حاجة الى تأكيد أننا أقباط ، وأننا مصريون ، وأننا أبناء لهذا الوطن المحبوب الذي قلنا عنه " ليست مصر وطناً نعيش فيه ، إنما هي وطن يعيش فينا " ...

خلاصة :

أحب أن أؤكد للأستاذ فهمي هويدي أنه لا توجد جماعات في المسيحية تنادي بالتكفير والدم بالمالكية . وأحوال عدد قليل في الكنيسة من أكثر من خمسين عاماً ، لم أسمع عن هاتيه العبارتين في المحيط الكنسي . ولم ألمح لهما وجوداً عملياً . هذه واحدة .

والنقطة الثانية هي أنه إذا اختلف أحد في وقت ما مع التفكير الكنسي السليم ، فلا يعتبر هذا اتجاهاً أو تياراً داخل الكنيسة ، أو أنه يمثل مجموعة فيها .

وسألني في الكتابين اللذين قدمتهما للجمهور ، أنهما مجرد تفكير شخصي لباحث له حرية التفكير . وكنت أود أنه حرية لا تتجاوز حتى تتعرض لقيادات دينية ، غالباً لم يعرف الكثيرون منهم ولصيقة له بهم علاقة ، أو تعريفي له - كباحث - أنه يعيد التفكير فيما نشره ... فكثيرون معلوماتهم لا تتفق مع التاريخ والواقع . وهذا سألقي أنا لا تتفق في شيء مع الصالح العام ..

وختاماً أرجو لكم عاماً مقبولاً ، وعيداً مجيداً

أعاد الله عليكم هذه الأيام بالخير والبركة .

ملحق رقم (٣)

رسالة البابا شنودة الثالث إلى الأقباط فى المهجر بخصوص حادث أبى قرقاص

obeikandl.com

Coptic Orthodox Patriarchate
FROM H.H. POPE SHENOUDA III
Anba Rueiss, Ramses Avenue, ABBASSIYA,
CAIRO 11381, EGYPT
CABLE : EL ANBA RUEISS, CAIRO.

ΠΑΠΑΣ ΚΑΙ ΠΑΤΡΙΑΡΧΗΣ ΠΡΕΣ
Πορεοδοξοσ
بركة الاقباط الارثوذكس
Date / / /

أبنائي الأحباء في أمريكا : الكليروساً وشعباً

سلام لكم من الرب ونعمة ، وبعد :

أحب في هذا الخطاب أن أعزيكم في أحبائنا الذين استشهدوا في أبي قرقاص بأيدي أثمة من الإرهاب ، وصعدوا الى الرب وهم في الكنيسة في جو روحاني ، فنالوا منه أكاليل تغبطهم عليها. وقد كانت جنازتهم مهيباً ، سار في موكبها المسلمون مع المسيحيين ، والكل ساخط على الإرهاب وعلى الجريمة البشعة التي ارتكبها في مكان مقدس.

ولقد يزال رجال الأمن يبذلون كل جهدهم في تعقب الجناة ، الذين يختبئون ، فتنقلهم من مكان الى آخر: أحياناً في المقابر والجبال. وأحياناً أخرى في مكان الفدادين من مزارع القصب أو الذرة ، أو في أوكار غير معروفة . أو في بيوت مسروقة ما يفارقونها الى غيرها. والدولة تطارد الإرهابيين وتدخل في صراع معهم. وقد قتل خطرهم كثيراً جداً منه ذي قبل . إذ تم القبض على كثيرين منهم وحوكموا وانتهى أمرهم الى الإعدام أو السجن . كما قُتل البعض في معارك مسلحة بينهم وبين رجال الشرطة ، كانت منه ضحاياها أيضاً ضباط وجنود ، وأحياناً بعض المواطنات ..

Coptic Orthodox Patriarchate
FROM H.H. POPE SHENOUDA III
Anba Rueiss, Ramses Avenue, ABBASSIYA,
CAIRO 11381, EGYPT
CABLE : EL ANBA RUEISS, CAIRO.

ⲠⲒⲀⲢⲬⲎⲈⲠⲒⲤⲔⲞⲠⲞⲤ ⲚⲞⲢⲐⲞⲆⲞⲜⲞⲤ
بطريركية الأقباط الأرثوذكس

Date / / 19
/ / 17

حقاً إن خطرهم قد قلّ. ولكن حركتهم قد تخمد شهوراً،
ثم يرتكبون حادثاً أو جريمة، لكي يثبتوا أنهم مازالوا موجودين،
وأنهم قادرون على العمل. ويدخل أمن الدولة في حرب جديدة معهم،
إنهم قلة، ولكنهم مسلحون وخطرون. وقد قتلوا الدكتور
رفعت المحجوب رئيس البرلمان (مجلس الشعب)، كما قتلوا أيضاً
الدكتور فرج فوده من كبار الكتّاب، وحاولوا اغتيال الدكتور
نجيب محفوظ الذي سبق أن حصل على جائزة نوبل. بل أيضاً
حاولوا اغتيال الدكتور عاطف صدقي حينما كان رئيساً للوزراء،
واللواء حسن الألفي وزير الداخلية، والأستاذ صفوت الشريف
وزير الإعلام. وكل هؤلاء من المسلمين، مع بعض قيادات الشرطة.

هنا يا أبنائي الأحباء في إدانتنا لحوادث الإرهاب يجب
أن نفرّق بين إدانة الدولة وإدانة الإرهاب.

فالإرهاب هدفه الأول هو الدولة. والدولة في صراع معه.
إن كنتم تدينون الإرهاب، وتقفون ضده بكل الطرق المشروعة،
فلن يلومكم أحد. أما من جهة الدولة، فمن الظلم أن يقف
أحد ضدها، في جريمة ابن قرقاص أو في غيرها من الأحداث،

Coptic Orthodox Patriarchate
FROM H.H. POPE SHENOUDA III
er Anba Raeiss, Ramses Avenue, ABBASSIYA,
CAIRO 11381, EGYPT
CABLE : EL ANBA RUEISS, CAIRO.

Πατριαρχικόν Κέντρον Ορθοδόξου
Πατριαρχείου Αλεξανδρείας
البابوية القبطية الارثوذكسية
Date / / 19
/ / 17

الإرهاب عدو مشترك للدولة وللكنيسة معاً ولكثير من الدول . بل ينبغي أن نقف جميعاً إلى جوار الدولة في صراعها ضد الإرهاب ، الذي لا يوجد في مصر وحدها ، بل يوجد في بلاد أخرى بصورة أخطر وأبشع ... وإننا نهنئكم على استهداء لنا ، لا ينبغي أن يتأثر بعض الدولة ، كما وصل إلينا عن أخبار ...

أحب أن تكون صورة الارتباط باستمرار في المستوى الروحي الذي كان لنا في كل العصور

لذلك أود في زيارة الرئيس مبارك إلى أوروبا ، أن تقابلوه بكل ما يليق به من توقير : كرئيس لدولتنا مصر ، التي تنتمي إليها الكنيسة الأم ، وأيضاً كرجل يبذل جهداً كبيراً في قضايا الشرق الأوسط . كما أنه يحارب الإرهاب بكل قوة لأجل سلامة بلدنا .

تصرفوا إذن بحكمة وروحانية ، وليس بمجرد الانفعال

وكونوا جميعكم بخير ، وليكلله الرب معكم

١٩٩٧/٣/٥

ملحق رقم (٤)
القوانين الكنسية

القوانين الكنسية هى مجموعة أحكام تنظم البناء الداخلى للكنيسة ، وتساعد من يتبعها على « استحقاق حياة أبدية مسبوقة بسلام ، ونعمة ، وبركات ، تؤهله لهذه الحياة » .

والقوانين الكنسية متعددة . يوجد بعضها باللغة اللاتينية ، واليونانية ، وتوجد ترجمات لبعضها إلى اللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية ، وقليل منها باللغة العربية . وأول هذه القوانين كانت تنظم أحكام الزواج ووضعت فى القرن الخامس الميلادى على يد الأسقف « رابولا » فى عام ٤٣٥ ميلادية كان فيها قسم عن الزواج ، وبعده جاءت قوانين يقف المؤرخون فى معرفتها عند كتاب « القانون الكنسى » الذى جمعه يوحنا الأنطاكى فى أوائل القرن السادس الميلادى ، ثم مجموعات من القوانين تالية إلى أن ظهر أول تقنين قبطى متكامل فى كتاب « القوانين » الذى جمعه الشيخ الصفى بن العسال فى سنة ١٢٣٩ ميلادية ، واشتملت على قوانين الكهنة مثل فرائض العبادة ، والقداس ، والقربان ، والصلاة ، والصوم ، والصدقة ، والأعياد ، والأوقاف ، كما تناولت المعاملات مثل الهبة ، والبيع ، والحكر ، والوكالة ، والحكم فى جرائم السرقة والقتل وغيرها ، وكلها لاتعتمد فى مصادرها على الكتاب المقدس ، ولكنها مستمدة من قوانين الملوك .. وتبع ذلك اجتهادات لصياغة قوانين للكنسية إلى أن قام الدكتور عونى برسوم بجمع

كل القوانين فى موسوعة واحدة شملت كل القواعد المتفق عليها سواء كانت مكتوبة أو شفاهة ، وفيها كثير مما يعتبر من تقاليد الكنيسة وليس صادرا عن الكتاب المقدس مباشرة . وتقاليد الكنيسة تعتبر دستورا غير مكتوب ، وهى لذلك المصدر الأساسى لهذه القوانين . وإن كانت تنقسم إلى قسمين : قسم لايترتب على مخالفته جزاء أو عقوبة لأنه يتعلق بالضمير ، وقسم يخضع للجزاء من الكنيسة .

فى الجانب الروحى نجد مواد فى التقنين الكنسى مثل الرحمة ، ومثل النص الذى يقول : « نحن المسيحيين نؤمن بإله واحد » ، ومثل النص على أن « الإيمان والمعمودية والتوبة هى أساس الخلاص فى المعتقد المسيحى » وأن « الإيمان بالمفهوم المسيحى هو الإيمان العملى القائم بغير شك فى محبة الله بلا نهاية » وأن الإيمان هو إيمان الأعمال ، لأن الإيمان بدون عمل هو إيمان ميت ، ولأن أعمالك هى التى تؤكد معرفتك بالله ، وهى التى تشهد لإيمانك ، لكيلا تكون كالذين قال عنهم الكتاب المقدس : « يعترفون بأنهم يعرفون الله ولكنهم بالأعمال ينكرونه » . ومثل الإيمان بأن الروح لا تموت وأن التحلل لجسد الإنسان بعد الموت يحرر الروح لكى تصعد كاملة إلى الله ، ولابد أن تكون هناك قيامة للأموات « يوم الدينونة » ، فيذهب الذين عملوا الصالحات إلى قيامة الحياة مع الملائكة والقديسين ، ويذهب الذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة .

وعن الكنيسة تحدد القوانين أوصافها وبناءها بحيث يكون هيكلها نحو الشرق ، والمذبح فى وسط الهيكل غير ملتصق بالحوائط لأن الطواف بالمذبح من القداس ، والكنيسة مستطيلة ، والدخول إليها من الغرب إلى الشرق ، ولها ثلاثة أبواب ، وكذلك يكون للهيكل ثلاثة أبواب .. وهكذا . كذلك تحدد القوانين طقوس الصلاة ووضع الشموع كتقليد ثابت حتى فى حالة

ظهور الشمس لأن الهدف منها ليس تبديد الظلام ولكنها علامة فرح وغبطة .. وقانون يحرم أخذ شيء من أوانى ومتعلقات الكنيسة . وقانون يحرم على الشخص أن يكلم غيره إلا بكلمات الصلاة ، ومن يحضر صلوات القداس يلتزم بالبقاء إلى نهايته . وتحدد القوانين سبع صلوات مقدسة وهى :

الأولى : « صلاة باكر » فى أول النهار مبكرا .

الثانية : صلاة تسمى صلاة الساعة الثالثة (تقارب الساعة التاسعة صباحا) .

الثالثة : صلاة تسمى صلاة الساعة السادسة (فى الظهر) .

الرابعة : صلاة تسمى صلاة الساعة التاسعة (نحو الساعة الثالثة بعد الظهر) .

الخامسة : صلاة الغروب .

السادسة : صلاة النوم .

السابعة : هى صلاة نصف الليل تعبيرا عن الاستعداد لملاقاة الرب كل حين وهى من صلوات الرهبان .

كما تحدد القوانين أيضا التسابيح والتراتيل التى يجب على المسيحى حفظها والاشتراك فيها ، والبخور فى خدمة القداس ، وتحدد الإطار الذى يجب أن تعمل فيه الكنيسة ، وهو الإطار الروحى والاجتماعى ، بحيث تمتد خدماتها إلى المدينة والقرية والأزقة وحتى إلى المغارات إذا وجد فيها مؤمن يحتاج إلى معونة .

وولائم المحبة التى تقام فى المناسبات المقدسة أو بصورة دورية تسمى « الأغابى » هى من سنن التقليد الكنسى ويجب على المسيحى احترامها والمشاركة فيها لتأكيد ثمار المحبة ، وتحقيقا لمبدأ ممارسة أعمال مادية من أجل تحقيق هدف سماوى . وهى ليست موائد صدقة من الأغنياء للفقراء ،

ولكنها موائد التقاء المؤمنين وتعارفهم ومناقشة مشاكلهم ومساعدتهم . ولايجوز أن تقام لتكريم رجال الأكليروس إلا إذا كانت حفلا لتكريمهم .

ثم هناك الأسرار الكنسية ، مثل سر الزواج المقدس ، وسر العماد ، وسر الكهنوت ، « ورئيس الكهنة ورئيس الأساقفة ورئيس الأكليروس ورئيس الأحبار هو البابا المعظم وهى صفات يستحقها لأنه على قمة رئاسة الكنيسة » . وسر الكهنوت واحد ليس فيه درجات ، ولذلك يتساوى فيه البابا مع سائر الكهنة ، بحيث يمكن أن يكون أب الاعتراف للبابا أحد القسس ويعترف البابا أمامه بخطاياه ويأخذ منه التحليل ، ويكون لأب الاعتراف سلطة الحل والربط كاملة عليه .. فليس لصاحب الرتبة الأعلى أن يأمر كاهنا أن يكشف له اعترافات شخص معين من بين المعترفين لديه .

تحدد القوانين الكنسية أيضا طقوس التعميد ، وسر التوبة ، وهو الاعتراف بالخطايا والذنوب بالفعل أو بالقول أو بالفكر ، ويكون الاعتراف أمام الكاهن فى الكنيسة والخضوع لقبول التحليل .

وأما سر الزيجة فلها مكان خاص فى قوانين الكنيسة . فالزواج فى العقيدة المسيحية الأرثوذكسية هو اتحاد روحى وجسدى بين رجل واحد وامرأة واحدة يقام باتمام مراسم وطقس السر بواسطة كاهن .

وكذلك فإن سر الكهنوت له أهمية كبيرة فى القوانين الكنسية ، فسر الكهنوت هو سر الأسرار وهو الباب المفتوح لكل الأسرار ، فلا يقام طقس إلا بواسطة كاهن . وتحدد القوانين الأعياد المسيحية مثل عيد البشارة فى يوم ٢٩ من شهر برمهات من السنة القبطية ، وعيد الميلاد يوم ٢٩ كيهك ، وعيد الظهور الإلهى يوم ١١ طوبة ، وعيد أحد الشعانين يوم الأحد السابع من الصوم الكبير ، وعيد القيامة الأحد التالى لأحد الشعانين ، وعيد الصعود

بعد ٤٠ يوما من عيد القيامة ، وعيد حلول الروح القدس فى اليوم الخمسين بعد القيامة ، وعيد الختان (عيد ختان المسيح وهو طفل) يوم ٦ طوبة ، وعيد دخول السيد المسيح أرض مصر مع العائلة المقدسة يوم ٢٤ من شهر بشنس ، وعيد التجلى يوم ١٢ من شهر مسرى .. وعيد رأس السنة القبطية (النيروز) فى أول شهر توت بداية السنة القبطية .

هناك أعياد أخرى خاصة بالسيدة العذراء مثل عيد ميلادها ، وعيد دخولها الهيكل ، وعيد رحيلها ، وهكذا .

وفى القوانين الكنسية النص على إخراج العشور ، وهى عشر كل كسب أو دخل دورى يحصل عليه الشخص من كل أعماله توجه لليتامى ، والأرامل ، والمحتاجين . وهى إلزام وليست تبرعا ، ويضاف إليها مايقدمه الشخص من التبرعات والعطايا والإحسان للمرضى والمحتاجين .

وكذلك تحدد هذه القوانين أيام وتواعد الصيام فى الصوم الكبير (٤٠ يوما) وصوم الميلاد ، وصوم يومى الأربعاء والجمعة من كل أسبوع ، وصوم العذراء .. وهكذا .. ولا يأكل الصائم إلا ما هو نباتى .. وفى القوانين أيضا « الصوم الانقطاعى » وهو الامتناع عن الطعام والشراب والشهوات بأنواعها لفترة مقبولة تتناسب مع إيمان الشخص ، وقدرته ، وسنه ، وحالته الصحية ، فقد يكون الانقطاع إلى العشاء ، أو إلى الغروب ، أو إلى العصر ، أو الظهر .. بحيث يكون الانقطاع عن الأكل والشرب وعن حياة الأباطيل الفكرية والشهوات .. وتنص القوانين على أهمية الصوم لأنه إذلال للجسد والنفس ، وابتعاد عن مشتهيات الجسد والنفس من لذة وشهوة وتمجيد باطل وكبرياء .

وتشير هذه القوانين إلى قول القديس يوحنا ذهبى الفم « ليس المهم أن تصوم بطنك ، بل أن يصوم لسانك عن الكلام ، وأن يصوم عقلك عن التفكير فى الشر ، وأن تمتنع عن الخطية فهذا هو صوم الروح الحقيقى » ولذلك تأخذ الكنيسة بالصوم كفترة تقوية روحية يلجأ إليها الإنسان فى وقت الشدة .

وفى هذه القوانين تحديد لمفاهيم الإيمان :

● فالحرية هى الانفلات من الخطيئة إلى طريق للمحبة وروح النفوس ، والحرية المقبولة أمام الله هى التى تراعى فيها حقوق الآخرين وحريتهم » . « ولا يطلب أحد ما هو لنفسه ، بل كل واحد ماهو للآخر » .

● وحرية الإرادة عامل أساسى للإيمان والثبات فيه . ولا أساس للإيمان القائم على الخوف أو الإيمان بغير وعى أو فهم . وحيث تصير الإرادة غير حرة صار الإنسان بغير صفة أو كيان .

● السيف مسيحيا هو سيف الروح ، أى الجهاد بكل المقومات الروحية الإيمانية الذى يصمد به المؤمن ضد كل حروب إبليس المتنوعة .

● التعصب والطائفية مرفوضان ، وكل عداوة إنسان آخر مرفوضة .

● الميراث حق مقرر وتقسيم أنصبة الميراث عند النزاع تكون وفقا للقانون الوضعى ، غير أنه بمحبة الورثة ورضائهم تتحقق معايير الرحمة والعدل .. وحرية التصرف فى الأموال والممتلكات من إطلاقات الإنسان . وهو حر الإرادة يعطى الهبة لمن يشاء وبعد الموت ليس فى التشريع المسيحى قواعد لتوزيع الميراث وترك ذلك للقوانين السائدة .

● الحسد ناتج عن حالة من حالات الضعف البشرى وهو خطية مؤثمة ، لأنه مرتبط دائما بفعل الشيطان ومكائده .

● النذور من الأمور المقررة كنسيا ، بمعنى العطاء والتبرع اعترافا للرب برحمته عند استجابة الرب لتضرعه . أو إذا نذرت نذرا فلا تتأخر عن الوفاء به لأنه خير لك ألا تنذر من أن تنذر ولا تفى » .

● درجات الإكليروس ثلاث : الشماس ، القسيس ، الأسقف . وهناك رتب من درجة القسيس ، والأسقف . وتحدد القوانين كيفية رسامة كل منهم والشروط والواجبات مثل الالتزام بتوزيع الصدقات والتبرعات حسب مقاصد أصحابها ، وتحريم احتجاز قدر منها رجل الدين ، وعدم خلط العطايا الموجهة إلى الخدام من الأكليروس والعطايا الموجهة لخدمة الكنيسة أو فقراء شعبها ، ومثل عدم جواز استقالة رجل الأكليروس .. ومثل مبدأ « التظاهر بالعلم والانتفاخ به مخالف لسلوكيات المسيحى عموما ، ومثل عدم حضور رجل الأكليروس الملاهى التى تعقب الزواج المقدس ، ورجل الأكليروس مكلف بأن يكون بعيدا عن التحزب وأعمال التآمر وكل الأمور الباطلة . ولايجوز لرجل الأكليروس أن يخرج عن النظام الذى وضعه الأسقف وفضح أعمال الكنيسة وتصرفاتها الخاصة أمام السلطات الكنسية ، فالخلافات التى تنشأ عن الأعمال الكنسية لابد أن تأخذ كرامة الحفاظ عليها ، وهى مثل العلاقات العائلية تحفظ أسرارها بعيدا عن كشف فضائحها ، والواجب سترها وحلها بروح التصالح وليس بروح الشكوى ، والطريق الطبيعى لذلك هو الالتجاء إلى حكماء الكنيسة من أساقفة أو مجلس الأكليريكية ، أما الجرائم والاعتداء على الحقوق المدنية والأملاك فإنها تكون من اختصاص القضاء الطبيعى مالم يتم التصالح بشأنها .

● تمنع آداب الكنسى أن يشكو رجال الدين (الأكليروس) بعضهم البعض

أمام العامة . وبالتالى محظور التشهير بهم عن طريق الصحف والاجتماعات لأن ذلك يشجع الناس على التطاول على حاملى سر الكهنوت .

- القوانين الكنسية تمنع التعالى الظاهر والخفى داخل الكنيسة .
- لا يجوز أن تقوم النساء بالتعليم العام فى الكنائس .
- النساء مساعدات الأكليروس فى الخدمة من أرامل وعذارى متبتلات يجمعهن اسم « المكرسات لخدمة الرب » .
- لا يجوز تعيين النساء الخادمات المكرسات رئيسات فى الكنائس .

هناك فى القوانين الكنسية أحكام خاصة عن الأسف ومن فى درجته مثل :

- هناك فرق بين السلطة والرئاسة . والأولى اختصاصات وحقوق أما الثانية فهى التواجد الحقيقى على القمة ، ليس على قمة السلم الأكليروسى ، ولكن على قمة قلوب المؤمنين ، والرئاسة قائمة على التضحية .
- سلطة الأسقف لا صلة لها بسلطان هذا العالم المادى بل هو سلطان كنسى تحكمه روحانيات وفق وصايا الكنيسة .
- لا يجوز أن يكون الأسقف متزوجا قبل أو بعد نوال الدرجة أو الرتبة .
- ليست درجة الأسقف فى ذاتها صك قداسة أو معرفة .
- الأسقف يتجرد من سلطانه الكنسى أمام أب اعترافه .
- سلطة الأسقف المقدسة قائمة على مسارين : أولهما سلطة الحل والربط ، سلطة الغفران وسلطة المنع والسماح المستقاة من نعمة سر الكهنوت ، وثانيهما سلطة الرعاية الكاملة للإيبراشية أو المدينة المعين عليها لإدارتها كنسيا .

• الأسقف على رأس قمة التعليم داخل الكنيسة فيرعاه وينظمه .

• يدخل فى سلطة الأسقف تدشين الأماكن ، وتكريس العذارى ، والمحاكمة عن الأخطاء العقائدية والسلوكية ، وسلطة سيامة قسس وشمامسة .

• الأسقف مطالب ببث الطمأنينة فى قلب شعبه .

• الأمر الصادر من الأسقف إلى رجل الأكليروس التالى فى الدرجة أساسه الخضوع .

• الأسقف ملتزم بقانون التجرد الرهبانى ، فلا يملك شيئا ، وليس له حق الاقتناء ، وله الحق فى اقتناء مايحقق راحة النفس والجسد ويستعملها طيلة حياته دون أن يملكها ولا يرثها أحد من أقاربه ولكن ترثها الكنيسة .

• لا يجوز للأسقف أن يجعل لأقاربه كسبا من خلال الخدمة فى الكنيسة أو نصيبا من أموال البيعة ومنافعها . وعلى ذلك يمتنع على الأسقف أن يعين قريبا له فى إدارة الكنيسة ، أو يمنحه عقدا أو إيجارا حتى لو كان فى ظاهره نفع للكنيسة .

• التواضع أمر يجب أن يأخذ موضعه فى السلوك اليومى لرجل الأكليروس .

• يشترط الموازنة بين احتياجات الكنيسة ومتطلبات الأسقف الذاتية .

• ولاية الأسقف على أموال الكنيسة لا ترقى إلى مرتبة الانفراد بالتصرف فيها . وعليه أن يعلن عن ممتلكات الكنيسة وأموالها .

• لا يجوز أن يكون رجل الأكليروس عضوا فى الأندية العامة أو منتديات الترويح والتسلية أو نحوه .

• لا يجوز للأسقف أن يشارك فى اختيار من يخلفه .

• القانون يحتم حُسن معاملة الأكليروس عند سقوطه فى ذلة صونا لسمعة الكنيسة . ولا تناصر الكنيسة رجل الأكليروس إذا ارتكب عمدا أو دون مشورة ما فيه إنكار للشريعة أو تحريف لأحكامها . ويجب أن يكون منزها عن كل شبهة أو ريبة ، ولا يمتنع عن تقديم يد المساعدة إلى أخوته فى وقت الضيق .

وقد لا يعرف الكثيرون الأساسيات فى نظم الكنيسة والعقوبات الكنسية ولها مجموعة من الأحكام تناقل بعضها من كتبوا فى الصحف بغير علم فخلطوا الأحكام وشوهوا بعضها . وأهم هذه الأحكام :

• أن قرارات المجمع المقدس – وهو هيئة الحكم العليا فى الكنيسة – ملزمة وحاكمة لرجال الدين وللشعب .

• يشكل مجلس أكليريكى لفض المنازعات برئاسة الأسقف .

• البابا هو البطريرك ، رئيس الأساقفة ، ورئيس كل الأكليروس ، وثالث عشر الرسل كما نصت على ذلك لائحة المجمع المقدس ، وهو خليفة القديس مار مرقس .

• محاكمات الأساقفة ومحاسبتهم عقائديا واجتماعيا ونظر دعواهم تكون أمام المجمع المقدس الذى يرأسه البابا ويضم فى عضويته جميع المطارنة والأساقفة .

• العقوبات الكنسية التى توقع على رجال الأكليروس هى : الإنذار ، وعقوبة التوبيخ علنا أمام رجال الأكليروس دون تشهير ، وعقوبة الإخراج أى الحرمان من الخدمات الكنسية ، وعقوبة القطع الدائم أو المؤقت ، وهى سحب الدرجة ، والإفراز ، والتحريم . ومن يحكم عليه بالطرد يعود إلى الحياة العلمانية كما كان . ولا يكون ذلك إلا بعد إجراءات المحاكمة الكنسية .

أما فى سلوك الإنسان العادى فإن قوانين الكنيسة تشمل على سبيل المثال :

• إجهاض المرأة لنفسها حكمها كنسيا حكم قتل النفس عمدا .

• الإيمان المسيحى يؤكد على البذل والتضحية بالدم والجسد والمال من أجل نفع الآخرين ، وقياسا على ذلك فإن التبرع بالأعضاء من أحياء أو موتى نفعا لحياة الناس هو عطاء وبذل وتضحية .

• الشريعة المسيحية تشجب ختان البنات ولاتقر أى مساس بطبيعة جسد المرأة . وعملية الختان جاءت فى الكتاب المقدس بالنسبة للذكور فقط .

• زيارة قبور الأموات والتجول فى المدافن بهدف استرجاع مرارة فراق الأحبة والأقارب والنحيب والعويل أمور لاصلة لها بالإيمان ودلالتها هو افتقار فى الفهم وضعف فى روابط الإيمان مع الله . أما الذهاب إلى القبور بهدف التأمل فى نهاية الحياة الأرضية الزائلة فإنه يحسب كتدريب مفيد للإنسان .

• انضمام أحد الزوجين إلى كنيسة غير الكنيسة التى أجرى الرسم الكنسى لزواجه فيها لاتعتبر تغييرا للديانة بل يعتبر تغييرا للطائفة ، ولا أثر لذلك على الالتزامات والحقوق التى نشأت عن عقد الزواج .

وكذلك فإن تغيير أحد الزوجين لديانته إلى خارج الإيمان المسيحى لايسقط التزاماته بمقتضى الزواج .

● لا يجوز للكاهن إبرام عقد الزواج بغير وقوع الخطبة لطرفيها وشهرها وبقائها الفترة الكافية للتحضير روحيًا وكنسيًا قبل الزيجة المقدسة .

● موانع الزواج هى : زواج الأصول بالفروع أو العكس ، الزواج من غير المسيحى أو المسيحية ، الزواج بالمطلق أو المطلقة ، الزواج دون إتمام المراسم الدينية ، الزواج براهب أو راهبة قبل الفرز والانقطاع من الحياة النسكية ، الزواج كرها أو تحت ضغط يسلب الإرادة ، الزواج الثانى دون التحلل كنسيا من زواج سابق . زواج المجنون ، والمصاب بأكثر من عاهة تجعل ممارسة الحياة العادية عسرة ، والأرملة خالية الحمل التى لم يمض على وفاة زوجها ستة أشهر .

ومن استعراض القوانين الكنسية يمكن معرفة الكثير عن حقائق المسيحية فى مصر ومعتقداتها ، مما يوصلنا إلى القول بأن هناك مساحة مشتركة بين المسلمين والأقباط فى مجالين أساسيين . أولهما مجال الأخلاق والسلوك والفضيلة فستجد أن الأخلاق والفضائل واحدة دون اختلاف ، وليس هناك دين يدعو إلى الرذائل أو إلى ارتكاب الخطايا ، والمجال الثانى هو مجال العلاقات الاجتماعية فسنجد مساحة الاتفاق واسعة ولن نجد خلافا إلا فى أن الكنيسة الأرثوذكسية تحرم الطلاق تحريما قاطعا إلا فى حالة واحدة هى علة الزنا .

هذه المساحة الواسعة من الاتفاق هى التى جعلت المصريين يعيشون فى وحدة وتكامل ودون تفرقة ، فضلا عما جاء فى القرآن الكريم من أن أقرب الناس مودة للذين آمنوا هم النصارى ، لأن منهم قسيسين ورهبانا ،

ولأنهم متواضعون ، والتواضع – كما رأينا – جزء لا يتجزأ من إيمانهم ، ولأنهم لايستكبرون ، لأن الكبر من أكبر الخطايا عندهم .

أما جوانب الخلاف فى العقائد فإن القول الفصل فيها هو ما قرره الله سبحانه وتعالى : ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين﴾ .

فالاختلاف فى العقائد إرادة الله ، وسيبقى الخلاف لحكمة لا يعلمها إلا الله ، ولقد فطن المصريون مبكرا جدا إلى الحكمة ، وهى أن مصر وطن لكل أبنائها تجمعهم بالمحبة ، ويبقى الدين لله ، والوطن للجميع ، وهذه واحدة من أكبر أسرار العبقرية المصرية .

□□□

ملحق رقم (٥)

نص مقال قداسة البابا
فى مجلة الهلال – ديسمبر ١٩٧٠

القرآن والمسيحية
للأنبا شنودة (أسقف التعليم)

فكرة القرآن عمومًا عن المسيحية :

تعرض القرآن للمسيحية . شرح كيف أنها ديانة سماوية ، ديانة إلهية ، أرسلها الله هدى للناس ورحمة ، على يد المسيح بن مريم . والمؤمنون بالمسيحية سجل القرآن أن لهم أجرهم عند ربهم ، وأنهم غير المشركين وغير الذين كفروا .. وقال أيضا : إنهم أقرب الناس مودة إلى المسلمين ، وإنهم متواضعون لا يستكبرون .

وشخص المسيح له فى القرآن مركز كبير . إنه كلمة الله ، روح منه . وُلد بطريقة عجيبة لم يُولد بها إنسان من قبل ولا من بعد ، بدون أب جسدى ، ومن أم عذراء طهور ولم يمسها بشر . ومات ورفع إلى السماء بطريقة عجيبة حار فيها المفسرون والعلماء على الأرض يهدى الناس ، ويقوم بمعجزات لم يعملها أحد مثله . وقد هدى الناس عن طريق تبشيرهم

بالإنجيل . والإنجيل له مكانة عظيمة فى القرآن الذى كان مصداقا له وداعيا الناس إلى الإيمان به . ولم يذكر القرآن إطلاقًا أنه نسخ التوراة أو الإنجيل ، بل على العكس ذكر أن المؤمنين ليسوا على شىء حتى يقيموا التوراة والإنجيل .

وللعذراء مريم أم المسيح مركز ممتاز فى القرآن ، فى بتوليتها وطهرها ونسكها وعبادتها وتشريف الله لها واصطفائها على نساء العالمين . وقد تحدث القرآن أيضا عن الحواريين تلاميذ المسيح . وتحدث عن بعض العقائد المسيحية .. وهنا يظهر الخلاف بينه وبين المسيحية .

شىء من ذلك خلاف حقيقى ، وشىء آخر لا يمكن أن نسميه خلافًا وإنما هو محاربة لبعض البدع الدينية التى كانت سائدة وقتذاك ، والتى تحاربها المسيحية أيضا ، والتى لم تكن فى يوم من الأيام من عقائد المسيحية كما يخطئ البعض فى الفهم والتفسير ، وما أكثر الملل التى تقوم فى كل جيل ، يحارب أخطاءها أولياء الله الصالحون وسنعرض لكل هذا بالتفصيل .

نظرة القرآن إلى النصارى :

يدعوهم القرآن « أهل الكتاب » أو « الذين أوتوا الكتاب من قبلكم » أو « الذين آتيناهم الكتاب » أو « النصارى » . ويصفهم القرآن بالإيمان وعبادة الله ، وعمل الخير . ويقول فى ذلك ﴿من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون . يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويسارعون فى الخيرات ، وأولئك من الصالحين﴾ . (سورة آل عمران ١١٣ ، ١١٤) .

ويقول أيضا ، ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته . أولئك يؤمنون به﴾ (سورة البقرة ١٢١) .

﴿ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإيّاكم أن أتقوا الله﴾ . (سورة النساء ١٣١) .

﴿ الذين آتيناهم الكتاب من قبله ، هم به يؤمنون﴾ . (سورة القصص ٥٢) .

هم إذن من المؤمنين ، يعبدون الله ويسجدون لله وهم يتلون آيات الكتاب طوال الليل . يؤمنون بالله وبالكتاب واليوم الآخر ، وهم من الصالحين ولذلك أمر القرآن بمجادلتهم بالتى هى أحسن . وفى ذلك يقول ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلاّ بالتى هى أحسن ، إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ، ونحن له مسلمون﴾ (سورة العنكبوت ٤٦) . ولم يقتصر القرآن على الأمر بحسن مجادلة أهل الكتاب بل أكثر من هذا : وضع القرآن النصارى فى مركز الإفتاء فى الدين فقال : ﴿فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك ، فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك﴾ (سورة يونس ٩٣) . وقال أيضًا : ﴿وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحى إليهم ، فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ (سورة الأنبياء ٧) .

ووصف القرآن النصارى بأنهم ذو رأفة ورحمة : وقال فى ذلك ﴿ وقفينا بعيسى بن مريم ، وآتيناه الإنجيل ، وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة﴾ (سورة الحديد ٢٧) . واعتبرهم القرآن أقرب الناس مودة للمسلمين ، وسجل ذلك فى سورة المائدة حيث يقول ﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود ، والذين أشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى . ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانًا وأنهم لا يستكبرون﴾ (سورة المائدة ٨٢) . ونلاحظ فى هذه الآية القرآنية تمييز النصارى عن الذين أشركوا . لأنها هنا تذكر ثلاث طوائف واجهها

المسلمون ، وهى اليهود والذين أشركوا فى ناحية ، والنصارى فى ناحية أخرى . فلو كان النصارى من المشركين ، لما صح هذا الفصل والتمييز . إن التمييز والفصل بين النصارى والمشركين أمر واضح جدًا فى القرآن .. ولايقتصر على النص السابق ، وإنما سنرد هنا أمثلة أخرى . منها قوله : ﴿إن الذين آمنوا ، والذين هادوا ، والصابئين ، والنصارى ، والمجوس ، والذين أشركوا . إن الله يفصل بينهم يوم القيامة﴾ (سورة الحج ١٧) . نفس هذا التمييز نجده فى الآية ١٨٦ من سورة آل عمران ، ونجده واضحا (فى قوانين التزويج المشترك) . وفى قوانين الجزية .

ولا يتسع المجال فى هذه العجالة لبحث مثل هذا الموضوع الواسع . على أننى سأعود إلى التكلم فيه فى نهاية هذا المقال ، أما الآن فيكفى فى نظرة القرآن إلى إيمان النصارى أن نورد قوله ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا فلهم أجرهم عند ربهم ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ (سورة البقرة ٦٢) ، وقوله تعالى : ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ (سورة المائدة ٦٩) .

نظرة القرآن إلى الإنجيل :

يرى القرآن أن الإنجيل كتاب مقدس سماوى منزل من الله تجب قراءته على المسيحى والمسلم وكل من آمن بالله . فيقول ﴿نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه . وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس﴾ (سورة آل عمران ٣ ، ٤) .

ويقول أيضا : ﴿وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقًا لِما بين يديه

من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ، ومصدقًا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون . وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقًا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه﴾ (سورة المائدة ٤٦ – ٤٨) .

وكون القرآن مصدقًا لما بين يديه من الكتاب ، فهذا يعنى صحة الإنجيل والتوراة وسلامتهما من التحريف . وإلا فإنه يستحيل على المسلم أن يؤمن بأن القرآن نزل مصدقًا لكتاب محرف . كذلك لو كان التوراة والإنجيل قد لحقهما التحريف ، ماكان يأمر قائلاً ﴿ وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه . ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾ . بل ما كان يصدر أيضا الأمر ﴿ قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم﴾ . (سورة المائدة ٦٨) .

وما أكثر الآيات القرآنية التى تسجل أن القرآن نزل مصدقًا لما بين يديه من الكتاب ، يطول بنا الوقت إن حاولنا أن نحصيها .. وما أكثر الآيات القرآنية التى تدعو إلى الإيمان بالإنجيل والتوراة ، نذكر منها غير ماسبق : ﴿يا أيها الذين آمنوا آمِنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نَزّل على رسوله ، والكتاب الذى أنزل من قبل ، ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، فقد ضل ضلالاً بعيدًا﴾ . (سورة النساء ١٣٦) .

ونلاحظ فى هذا النص أنه قال (كُتبه) ولم يقل كتابه . فيجب الإيمان بجميع الكتب الإلهية التى أرسلها هدى ونورًا وموعظة للمتقين .. وقد ورد فى سورة البقرة عن أهمية هذا الإيمان ﴿والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون . أولئك على هدى من ربهم وأولئك

هم المفلحون﴾ (البقرة ٤ ، ٥) ﴿قولوا آمنا بالله وما أُنزل الينا وما أُنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون﴾ (البقرة ١٣٦) وقوله تعالى : (قل آمنا بالله وما أُنزل علينا وما أُنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم) (آل عمران ٨٤) . ﴿ لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أُنزل إليكم من ربكم﴾ (سورة المائدة ٦٨) .

أقتصر الآن على هذا القدر القليل وقبل أن أترك هذه النقطة أقول إن كل ما سبق ينفى بأسلوب قاطع الفكرة الخاطئة التى ظنها البعض وهى أن القرآن نسخ التوراة والإنجيل !! من المحال أن يكون ناسخًا لها فى الوقت الذى يدعو إلى الإيمان بهما ويحذر من إهمال ذلك .

ملاحظة أخيرة أنبه القراء .. وهى أن القرآن .. فى كل سوره وآياته عندما يذكر الإنجيل ، وإنما يعنى الإنجيل الذى بشر به المسيح . ولم يرد فى القرآن حرف واحد عن ذلك المؤلَّف المزيف الذى أسماه كاتبه (إنجيل برنابا) . إن اسم برنابا هذا غير موجود على الإطلاق فى القرآن . كما أن كثيرا من تعاليمه ومعلوماته متنافية ومناقضة لتعاليم القرآن .

فكرة القرآن عن المسيح :

يسميه القرآن (عيسى) . وهذا الاسم يقرب من الكلمة اليونانية (ايسوس) Iycouc أما اسم المسيح فى العبرية فهو يسوع ومعناه مخلص . على أن القرآن ذكر اسم المسيح أكثر من عشر مرات . انظر : (آل عمران ٤٥ والنساء ١٥٧ ، ١٧١ ، ١٧٢ . والمائدة ١٧ (مرتين) ، ٧٥ والتوبة ٣٠ ، ٣١) سنحاول أن نورد بعض الأمثلة خلال حديثنا .

واسم المسيح هذا كان موضع دراسة لكبار المفسرين فى الإسلام ، وقيل فى ذلك إنه سمى مسيحا (لأنه مُسح من الأوزار والآثام) . وأورد الإمام الفخر الرازى حديثا شريفا قال فيه راويه (سمعت رسول الله يقول : ما من مولود من آدم إلاّ ونخسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخًا من نخسه إياه ، إلاّ مريم وابنها) . كل هذا وما سيأتى ، يدل على المركز الرفيع الذى تمتع به المَسيح فى القرآن وفى كتب المفسرين ، وهو مركز تميز به عن سائر البشر ومن ذلك ...

١ – أنه دعى كلمة الله وروح منه :

وقد تكرر هذا اللقب ، فورد فى سورة آل عمران ٤٥ : ﴿إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيهًا فى الدنيا والآخرة ومن المقربين﴾ . وورد فى سورة النساء ١٧١ : ﴿ إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه﴾ . وقد أثارت عبارة « كلمة الله » تعليقات لاهوتية كثيرة لاداعى للخوض فيها الآن ، لأن تسمية المسيح بكلمة الله يطابق الآية الأولى من الإنجيل ليوحنا الرسول . وكذلك لأن عبارة (الكلمة) وأصلها فى اليونانية (اللجوس) ، لها فى الفلسفة وفى علوم اللاهوت معان معينة غير معناها فى القاموس . وبنفس الوضع عبارة (روح منه) التى حار فى معناها كبار الأئمة والمفسرين . وأيا كانت النتيجة فإن هذين اللقبين يدلان على مركز رفيع للمسيح فى القرآن لم يتمتع به غيره .

٢ – ولادة المسيح المعجزة من عذراء :

لم يقتصر الأمر على كنه المسيح و طبيعته من حيث هو (كلمة الله وروح منه ألقاها إلى مريم) وهذا ما لم يوصف به أحد من البشر ، وإنما الطريقة

التى ولد بها والتى شرحها القرآن فى سورة مريم كانت طريقة عجيبة معجزية لم يولد بها أحد غيره من امرأة . زادها غرابة أنه (يكلم الناس فى المهد) (آل عمران ٤٦) ، الأمر الذى لم يحدث لأحد من قبل ولا من بعد .. أترك هذا العجب لتأمل القارئ .

٣ – معجزات المسيح العجيبة :

وأخص منها مما ورد فى القرآن . غير إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى ، معجزتين فوق طاقة البشر جميعا ، لم يقم بمثلهما أحد من الأنبياء وهما القدرة على الخلق ، وعلى معرفة الغيب . وفى ذلك يقول القرآن على لسان المسيح ﴿إنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير ، فأنفخ فيه فيكون طيرًا بإذن الله .. وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين﴾ (سورة آل عمران ٤٩) .

وهنا يقف العقل ، لكى تتأمل الروح .. لماذا يختص المسيح بهذه المعجزات التى لم يعملها أحد ، والتى هى من عمل الله ذاته : الخلق ومعرفة الغيب !!

ومن الأمور الأخرى التى يذكرها القرآن فى رفعة المسيح وعلوه هى :

٤ – موته ورفعه إلى السماء :

وقد ورد فى ذلك ﴿إذ قال الله يا عيسى إنى متوفيك . ورافعك إلىّ وَمُطَهِّرُكَ من الذين كفروا ، وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة﴾ (سورة آل عمران ٥٥) . والمسيحية تؤمن بموت المسيح وصعوده إلى السماء . ولكن القرآن لم يبين كيف رفع المسيح ومتى حدث ذلك ، وبقى الأمر عجيبا .

٥ – صفات المسيح الأخرى :

من الصفات التى ذكرها القرآن عن المسيح أنه ﴿وجيهًا فى الدنيا والآخرة﴾ وقد شرح أئمة المفسرين معنى هذا الوصف باستفاضة ، وخرجوا منه بعلو مركز المسيح علوًا عجيبًا . وبأنه فى الآخرة تكون له شفاعة فى الناس .

مركز العذراء مريم فى القرآن :

يشرح القرآن فى سورة آل عمران أن مريم نذرت للرب وهى فى بطن أمها ﴿فتقبلها ربها بقبول حسن ، وأنبتها نباتاً حسنًا﴾ وأنها تربت فى الهيكل تحت رعاية زكريا . وأنها كانت تطعم طعامًا من السماء ﴿كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقًا . قال يا مريم أنّى لك هذا قالت هو من عند الله﴾ وعلو مركز العذراء مريم يظهر فى قول القرآن عنها ﴿وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين﴾ (آل عمران ٤٢) . وهكذا ارتفعت مريم فى نظر الإسلام فوق نساء العالمين . كانت عذراء عابدة تسجد وتركع مع الراكعين . وكانت تحيا فى وحدة وتأمل ﴿إذ انتبذت من أهلها مكانًا شرقيًا ، فاتخذت من دونهم حجابًا﴾ . (سورة مريم ١٦ و ١٧) و﴿ إنى نذرت للرحمن صومًا﴾ . ويمكن الرجوع إلى سورة مريم وسورة آل عمران وغيرهما لمن يريد أن يتوسع فى معرفة فضائل العذراء مريم وعلو مكانتها ، كما يشرح ذلك القرآن .

□□□